منهج ابن تيمية
في تفسير القرآن الكريم

د.السر محمد الأمين أبو بكر (★)

مقدمة:

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله الأمين سيدنا مُحَمَّد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم وعلى صحبه أجمعين وبعد :

فنحمد الله الذي أعاننا على اختيار هذا الموضوع الذي يتعلق بتفسير كتاب الله تعالى برؤية تمكن من النظر في علم من أعلام ألامة، قدم للإسلام كل حياته وأضاف للتفسير وعلوم القران ، فتحدث عن أصول التفسير ، ونسال الله يتم علينا فضله ويوفقنا لتناول منهج الشيخ ابن تيمية بصورة علمية وموضوعية .

أسباب اختيار الموضوع :

1 -تعريف المسلمين بالمفسرين المجتهدين وخاصة ابن تيمية .

2 -الوقوف على رؤية ابن تيمية باء على منهجه في أصول التفسير .

3 -زيادة المعرفة بأصول التفسير ومناهج المفسرين .

الدراسات السابقة :

تكلم بعض العلماء عن منهج ابن تيمية في التفسير بصورة مجملة كالأستاذ صبري متولي .

(★) أستاذ التفسير بجامعة الرباط الوطني.

منهج البحث:

منهجي هو المنهج الاستقرائي التحليلي وذلك بما يلي :

1 -الاستعانة بالمصادر الأصلية .

2 -عزو الآيات إلى سورها .

3 -تخريج الأحاديث النبوية .

4 -الترجمة لغير المشهورين من الرجال .

خطة البحث:

1 -المقدمة وذكرت فيها أهمية الموضوع وأسباب اختياره والدراسات السابقة .

2 -هذا البحث بعنوان منهج ابن تيمية في تفسير القران الكريم ويشتمل على ثلاثة مباحث :

المبحث الأول:

نظريه ابن تيمية من اختلاف السلف في التفسير .

المبحث الثاني:

موقف ابن تيمية من اختلاف السلف في التفسير .

المبحث الثالث:

خصائص تفسير ابن تيمية .

الخاتمة : وفيها النتائج والتوصيات .

الفهارس العامة وهي :

1 -فهرس الآيات .

2 -فهرس الأحاديث .

3 -فهرس الأعلام .

4 -فهرس المصادر والمراجع .

5 -فهرس الموضوعات .

تمهيد :

ابتداء لابد من التأكيد على المقدرة الفائقة التي وهبها الله للإمام احمد بن عبد الحليم إذ بها صار أهلاً للتعمق في مجالات عديدة ومن ابرز هذه المجالات التفسير فقد قدم فيه للامه خدمه عظيمة عندما قام بوضع مقدمته في أصول التفسير وهي التي أودعها تلك القواعد الكلية التي قال عنها أنها (... تعين على فهم القران ومعرفة تفسيره ومعانيه ، والتمييز في منقول ذلك ومعقولة ، بين الحق وأنواع الأباطيل)[1] وهذا لان بعض التفاسير الكثيرة المنتشرة مملوءة حقاً وباطلاً ، وهناك بعض المفسرين تأثروا بمذاهبهم الأمر الذي أجلى في تفاسيرهم تلك المذهبية وإن كانت على غير الهدى والحقّ ، ولعل هذا ما عناه الإمام بقوله (... فان الكتب المصنفة في التفسير مشحونة بالغث والسمين والباطل والواضح والحق المبين)[2] كما انه لابد من التأكيد على حاجه ألأمه ألمسلمه لفهم هذا القران الذي هو حبل الله المتين والذي بدون فهمه لا تقدر ألأمه على أن تقيم دين الله في الأرض إن جوانب ومقومات وأركان الحياة المسلمة كلها مرتبطة به ومنبثقة منه فهو أصلها وهو مبدؤها

---

[1]- مجموع الفتاوى ، ج، 13،ص329،ط،1382هـ،مطابع الرياض .

[2] المصدر السابق- نفس الصفحة .

3- سورة طه ، 123،124،125،126.

4- سورة إبراهيم ، إيه-1 .

ومنتهاها ٹ ڈ ڇ ۇ ۆ و وۈ ۇ ې ې ې د د ئا ئا ئه ئه ئو ئو ئۇ ئۇ ئۆ ئۆ ئۈ ئۈ ئې ئې ئى ئى ئى ئى ی ی ی ی ئج ئح ئم ئى ئي بج بح بخ بم ٱ ب ب ب پ پ پ پ چ [3]فالقران هو الذي يخرج الأمة من الظلمات كلها إلى النور كله ٹ ٹ چ ث ث ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ڈ ڈ ف ف ڤ ڤ ڤ ڤ ڦ ڦ ڄ ڄ چ [4].

وقد دلت آثار صحيحة من السنة النبوية على ما دل عليه القران كما جاء في حديث على بن أبي طالب ﷺ إن النبي ﷺ قال :(ستكون فتن كقطع الليل المظلم قلت وما المخرج منها يا رسول الله قال: كتاب الله تعالى فيه نبأ ما قبلكم وخير ما بعدكم وحكم ما بينكم – وهو الفصل ليس بالهزل من تركه من جبار قصمه الله ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله تعالى وهو بالهزل حبل الله المتين وهو الذكر الحكيم وهو الصراط المستقيم وهو الذي لا تزيغ به الأهواء ولا تلتبس به الألسنة ولا تشبع منه العلماء ولا يخلق على كثرة الرد ولا تنقضي عجائبه[1]) وفي رواية (هو الذي لم تنته الجن إذ سمعته إن قالوا : (إنا سمعنا قرانا عجبا) من قال به صدق ومن حكم به عدل ومن عمل به اجر ومن تمسك به هدي إلى صراط المستقيم .

من كل ما سبق لنا ضرورة تحديد المنهج الذي نؤسس عليه رؤيتنا ونبني عليه أفكارنا كما فعل الإمام ابن تيمية فانه لما رأى التخبط الذي عم جميع شعاب الحياة ورأى الأمة قد بعدت وافترقت ؛ عمل على تأسيس المنهج الصحيح الذي يعينه على المساهمة في إعادة نهضة الأمة والقيام بواجب الدعوة إلى الله وإصلاح واقعها .

[1]– اخرجه الترمذي في سننه ، ج،3، ص، 375، ، ط، 3، 1983م، دار المعارف للطباعه والنشر والتوزيع .

كل ذلك ما كان ليتم لولا وضوح الرؤية الذي انبنى عليها تحديد المنهج ومقوماته التي يرتكز عليها. سيما وقد كانت هناك فوضى فكريه خلفها الاعتماد على مناهج البحث اليونانية في عالمنا المسلم مما أورث الأمة انحرافات ومزالق خطيرة ، وما زالت الأمة إلى اليوم تعاني الأمرين من جراء تطبيق مناهج فكرية غير سليمة ، منها الغربي ومنها الشرقي ، الأمر الذي أدى إلى تراجع الأمة وتقهقرها .

مكانة ابن تيمية في التفسير :

إن هذا الإمام الفاضل شيخ الإسلام (ابن تيمية) له في تفسير القران شان كبير وباع عظيم إذ لا تقل مكانته في التفسير عنها في الحديث أو الفقه أو اللغة أو أي ضرب من ضروب العلم فقد برع فيها جميعاً وتقدم على علماء عصره ، بل لعله بعد إن كسر قيد القرون وجمع علوم السلف وأثارهم ، قد مهد الطريق لظهور مجموعه جليلة من العلماء منهم على سبيل المثال الإمام ابن كثير والإمام ابن حجر وغيرهما من الأعلام ورحم الله الإمام الذهبي حيث قال فيه (... كان آية في الذكاء وسرعة الإدراك ، رأساً في معرفة الكتاب والسنة والاختلاف ، بحراً في النقليات ، هو في زمانه فريد عصره زهداً ، وشجاعة وسخاء ، وأمر بالمعروف ونهيا عن المنكر ، كثرت تصانيفه ، قرأ وحصل وبرع في الحديث والفقه ، تأهل للتدريس الفتوى وهو ابن سبع عشرة سنة ، تقدم في علم التفسير والأصول وجميع علوم الإسلام أصولها وفروعها ، دقيقها وجليلها).

وقال عنه صاحب الوافي بالوفيات (ما رأيت احد أسرع انتزاعا للآيات الدالة على المسالة التي يوردها من ولا اشد استحضارا لمتون الأحاديث وعزوها إلى الصحيح أو السنن أو المسند ، كان ذلك نصب عينيه ، وعلى طرف لسانه بعبارة رشيقة حلوة ، وإفحام للمخالف).

وقد لقبه بعض العلماء الآخرين بحر القران قاله الإمام الذهبي ، إما التفسير فمسلم إليه وله في استحضار الآيات من القران وقت اقامه الدليل على المسالة قوة عجيبة ولفرط إمامته في التفسير وعظم اطلاعه صار يبين خطأ كثير من أقوال المفسرين وهي أقوال عديدة[1] .

المبحث الأول

نظرية ابن تيميه حول أصول التفسير

جاء في(الوافي بالوفيات)، نقلاً عن بعض العلماء أن الإمام ابن تيمية كأن آية من آيات الله في التفسير والتوسع فيه ولعله يبقى في تفسير ء المجلس والمجلسين ونقل عن عنه رحمه الله قوله (إني وقفت على مائه وعشرين كتابا استحضر من الجميع الصحيح الذي فيه)[2].

من هنا يمكن أن يكون مدخلنا للتعرف على نظريه الإمام ابن تيمية فيما يتعلق بأصول التفسير العامة التي ينبغي الوقوف عندها لمن أراد أن يفسر كلام الله ، وللإمام ابن تيمية رؤية أسس عليها منهجه وهي مضمنه في الفتاوى المجلد (13) الصفحات من (329) إلى(375) اسماها مقدمه في أصول التفسير تناول فيها قضايا عديدة غاية في الأهمية حتى ان الإمام عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن كثير ضمنها بجملتها في مقدمه تفسيره المسمى تفسير القرآن العظيم لما حوته من نفائس علمية وضعت أهم الأصول الضرورية كقاعدة عليها يقوم البناء السليم لفهم القرآن . بالرغم من إن ابن كثير شافعي المذهب وابن تيمية حنبلي المذهب إلا أن، ابن كثير كان يحب ابن تيمية حباً شديداً وينافح

[1] – مقدمة في اصول التفسير ، ابن تيمية ، تحقيق ، عدنان زر زور ، ص10،11،ط،2، 1392هـ ، مؤسسة الرسالة بيروت .

[2] – مقدمة في أصول التفسير ، ص ، 10 ، مرجع سابق .

عنه ويقول بفتاواه حتى التي كانت من اشد محنته وهي فتواه في طلاق الثلاثة بلفظ واحد وفوق هذا وذاك فالإمام ابن تيمية شيخ الإمام ابن كثير .

لقد وضع ابن تيمية في مقدمته أهم الضوابط التي يجب على المفسر اتباعها والسير على هديها ، وهي نظريه تجمع بين الأصالة والإبداع إذ تؤسس أصولها على منهج السلف في تفسير القرآن العظيم وتضيف الجديد إلى هذه الأصول خصوصا فيما يتعلق بالمرتكزات اللغوية ، فاحتفى ابن تيمية بالتفسير بالمأثور وتقيد ضوابطه ووضع حدودا بين التفسير المحمود والتفسير المذموم والمقبول والمردود وبدا ذلك واضحا عندما قال (العلم إما نقل مصدق عن معصوم وإما قول عليه دليل معلوم وما سوى ذلك إما مزيف مردود وإما موقوف لا يعلم أنه بهرج ولا منقود)[1] فالعلم الذي يقوم على نقل كاذب أو ضعيف أو يؤخذ من مصادر مجهولة أو معلومة لكن مطعون فيها عدالة أو علما هو علم غير منتج ومردود ، ولذا يكون التلازم بين أمرين غاية في الأهم :

1 -صحة الرواية عن السلف .

2 -صحة الدراية بالنصوص القرآنية .

وبناء على ما سلف نجد الإمام ابن تيمية يحدد منهجه ويؤسس لرؤيته وبناء نظريته في أصول التفسير فيجعلها خمسة أصول يبدأ فيها بقوله فإن قال قائل : فما أحسن طرق التفسير ، فالجواب إن اصح الطرق في ذلك أن يفسر القرآن بالقران[2] ولذا فالأصل الأول عنده هو

1) تفسير القرآن بالقران :

[1] – مجموع الفتاوى ، ج، 13 ، ص ، 305.

[2] – المرجع نفسه والصفحة .

إن أحسن طرق التفسير إن يفسر القرآن بالقران ، إذ الآيات يبين بعضها بعضا فما اختصر في موضع بسط في موضع أخر وما أجمل في مكان فصل في مكان أخر وما جاء عاماً أو مطلقاً في موضع خصص وقيد في موضع أخر ، ومثال ذلك :

1 -قوله تعالى قي سورة البقرة: ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭼ[1] قد أخبر المولى عز وجل أن آدم عليه السلام تلقى منه كلمات وأمر أن يدعو بها لأجل أن يتوب الله عليه لكن ما هي هذه الكلمات ، هل هي معلومة بالقران أم غير معلومة حتى يفتح باب البحث عنها في السنة النبوية ...الخ) قال تعالى في سورة الأعراف : ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭼ[2].

2 - ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭼ[3] يخاطب المولى عز وجل بني إسرائيل طالبا منهم عدم نسيان آلائه ونعمه التي من بها عليهم ، فلا ينبغي إن يكونوا أول كافر بها ومعاند لرسله وأنبيائه، هذه النعم والأفضال المنزلة عليهم ذكرت في آيات أخرى كثيرة منها قوله تعالى: ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭼ[4]وقوله تعالى: ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭼ[5]وقوله تعالى : ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭼ.

[1] سورة البقرة ، الآية 37 .
[2] سورة الأعراف ، الآية 23.
[3] سورة البقرة ، أية 47.
[4] سورة البقرة ، الآية 49 .
[5] – سورة البقرة ، الآية 50.

3 -وفي هذا النموذج نقف على تفسير قوله تعالى: چ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ڄ ڄ چ

قال فيها الإمام ابن تيمية ، وقد صح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال اليهود.[1]

مغضوب عليهم والنصارى ضالون ، وكتاب الله يدل على ذلك في مواضع مثل قوله تعالى:

چ ڄ ڄ ڃ ڃ ڃ ڃ ڃ چ چ چ چ چ چ چ چ ڇ ڇ ڍ چ[2] وقوله تعالى: چ ڍ

ڍ ڌ ڌ ڎ چ[3] وقوله چ ۆ ۆ ۈ ۈ ۇٴ ۋ ۋ ۅ ۅ ۉ ۉ ې ې چ[4] وقال في النصارى :

چ ٱ ٻ ٻ ٻ ٻ پ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ ٺ ٺ ٿ ٿ ٿ ٿ ٹ

ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ڄ ڄ ڄ ڄ ڄ ڄ ڃ ڃ ڃ ڃ چ چ[5] و

ٹ ٹ چ گ گ گ گ ڳ ڳ ڱ ڱ ں ں ڻ ڻ ۀ ۀ ہ ہ ھ ھ ھ ھ ے ے ۓ

ۓ ﮬ ﮬ ﮭ ﮭ ۇ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۉ ۉ ۋ ۋ ې ې ى ى ﯨ ﯨ ﯩ ﯩ ﯪ ﯪ

ﯫ ﯫ ﯬ ﯬ ﯭ ﯭ چ[6] وقال تعالى: چ ٱ ٻ ٻ ٻ ٻ پ پ پ پ ڀ ڀ

ڀ ڀ ٺ ٺ ٺ ٺ ٿ ٿ ٿ ٿ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ

ٹ ڄ ڄ ڄ ڄ ڄ ڃ ڃ ڃ ڃ چ چ چ چ چ چ ڇ ڇ ڍ ڍ ڌ

ڌ ڎ ڎ ڈ ڈ ژ ژ ڑ ڑ ک ک ک ک گ گ گ گ

گ ڳ ڳ ڱ ڱ چ[7] إلى أن قال . ولما أمرنا الله سبحانه أن نسأله في كل صلاة أن

يهدينا الصراط المستقيم صراط الذين أنعم عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين

---

[1] سورة الفاتحة ، الآية 7.

[2] سورة المائدة ، الآية 60 .

[3] سورة البقرة ، الآية 90 .

[4] سورة المائدة الآية 112 .

[5] سورة المائدة ، آيات ، 78 ، 77 .

[6] سورة التوبة ، آيات ، 30،31 .

[7] سورة ال عمران ، آيات ،78،79.

المغايرين للمغضوب عليهم وللضالين لكان ذلك مما يبين أن العبد يخاف عليه أن ينحرف إلى هذين الطريقين وقد وقع ذلك كما اخبر النبي عليه الصلاة والسلام ...الخ[1] . هذه نماذج من تفسير القرآن بالقران وهو من أحسن وأجود واعلي درجات التفسير والناظر في كتابات ابن تيمية يلاحظ كثرة استخدامه وتطبيقه لقاعدة تفسير القرآن بالقران خصوصا وهو يناقش ويحاجج الفرق المبتدعة فهو يعمل على جمع الآيات التي تدور في المعنى نفسه أو يستخدم اللفظ ذاته ليلاحظ مدى وجود الفروق في الاستعمال القرآني للألفاظ حتى يعينه على استخراج الأحكام واستنتاج المعنى المراد بدقة وهذه الطريقة تشبه إلى حد ما التفسير الموضوعي بدرجه كبيرة[2]

2) تفسير القرآن بالسنة :

إن السنة النبوية الصحيحة تعتبر المرجع الثاني لتفسير القرآن الكريم عند ابن تيمية إذ هي تشترك معه في كونها وحياً من عند الله مثل القرآن ، ﭧ ﭨ ﭽ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭾ[3]وجاء عن النبي صلى الله عليه وسلم من رواية المقداد بن معد يكرب الكندي مرفوعا (... إلا إني أوتيت الكتاب ومثله معه)[4] ، ولذا فقد جعلها الإمام ابن تيمية أصلا من الأصول التي يقوم عليها التفسير فقال : (... والغرض إنك تطلب تفسير القرآن منه فإن لم تجده فمن السنة كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لمعاذ حين بعثه إلى اليمن : (بم تحكم قال بكتاب الله قال فإن لم

---

[1] مجموع الفتاوى ، ج-1 – ص-64-65 .

[2] دقائق التفسير ، مرجع سابق .

[3] سورة النجم ، آيات ،3،4.

[4] أخرجه الترمذي في سننه ،ج،3،ص،213،ط،1،1982،دار إحياء التراث العربي ، بيروت لبنان .

تجد قال بسنة رسول الله قال فإن لم تجد قال اجتهد رائي قال فضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم في صدره وقال الحمد لله الذي وفق رسول الله لما يرضى رسول الله) وهذا الأحاديث في المسإنيد والسنن بإسناد جيد[1] وقال (فإن أعياك ذلك فعليك بالسنة فإنها شارحه للقران وموضحه له الخ بل إن الإمام مُحَمَّد بن إدريس الشافعي قال : كل ما حكم به رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو مما فهمه من القران ، ﭧ ﭨ ﭽ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﭼ[2].

وفي نظر ابن تيمية فإن الرسول عليه الصلاة والسلام فسر لأصحابه جميع ما في القران ألفاظه ومعانيه وإنه كما حرص على تلقين ألفاظ القران وحروفه للصحابة باعتبار إن ذلك داخلا في إطار التبليغ حرص أيضا على بيان معانيه حتى يفهموا الخطاب إذ هذا من تمام وظيفة الرسول المبلغ والمبين للقران لعموم قوله: ﭽ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭼ[3] ولا معنى بالإبانة إلا بتفسير جميع ما في القرآن عن طريق سنته القوليه والفعلية فالإبانة والبلاغ أمران متلازمان[4] .

وهذه الرؤية قد بينها الإمام بجلاء عندما قال (يجب أن يعلم أن النبي صلى الله عليه وسلم بين لأصحابه معاني القران كما بين لهم ألفاظه فقوله تعالى: ﭽ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭼ[5] يتناول هذا وهذا وقد قال أبو عبد الرحمن السلمي حدثنا الذين كانوا يقرئوننا القرآن كعثمان بن عفان وعبد الله بن مسعود وغيرهما إنهم كانوا إذا تعلموا

[1] أخرجه ابن سعد ، ج،2، ص، 107.

[2] سورة النساء ، الآية 105.

[3] سورة النحل ، الآية 44.

[4] تكامل المنهج المعرفي عند ابن تيمية – مرجع سابق .

[5] سورة النحل ، الآية 44.

من النبي عليه الصلاة والسلام عشر آيات لم يجاوزوها حتى يتعلموا ما فيها من العلم والعمل قالوا فتعلمنا القرآن والعلم والعمل جميعاً ولهذا كانوا يبقون مده في حفظ السورة وقال أنس كان الرجل إذا قرأ البقرة وآل عمران جل في أعيننا وأقام عمر على حفظ البقرة عشرة سنين قيل ثماني سنين ذكره مالك . وذلك أن الله تعالى قال ﭽ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ[1] وقال: ﭽ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﭼ[2] وقال(ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ)[3] وتدبر الكلام بدون فهم معانيه لا يمكن وكذلك قال تعالى ﭽ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﭼ[4] وعقل الكلام متضمن لفهمه ، ومن المعلوم أن كل كلام المقصود من فهم معانيه دون مجرد ألفاظه فالقرآن أولى بذلك وأيضاً فالعادة تمنع أن يقرأ قوم كتاباً في فن من العلم ، كالطب ، أو الحساب ، ولا يستشرحوه فكيف بكلام الله الذي هو عصمتهم وبه نجاتهم وسعادتهم وقيام دينهم ودنياهم ولهذا كان النزاع بين الصحابة في تفسير القران قليل جداً وهو وإن كان في التابعين أكثر منه في الصحابة فهو قليل بالنسبة إلى من بعدهم وكل ما كان العصر اشرف كأن الائتلاف والعلم والبيان فيه أكثر ومن التابعين من تلقى جميع التفسير عن الصحابة كما قال مجاهد عرضت المصحف على ابن عباس أوقفه عند كل أية منه واسأل عنها ، وقد قال الثوري إذا جاءك التفسير عن مجاهد فحسبك به ، ولهذا يعتمد على تفسيره الشافعي والبخاري وغيرهما من أهل العلم

[1] سورة ص ، الآية 29 .
[2] سورة محمد ، الآية 24 .
[3] سورة المؤمنون ، الآية 68.
[4] سورة يوسف ، الآية 2.

وكذلك الإمام احمد وغيره ممن صنف في التفسير يكرر الطرق عن مجاهد أكثر من غيره[1] .

إلا أن هذه القضية الهامة قد خالف ابن تيمية فيها فريق على رأسهم الخوبي ، إذ إن هذا الفريق يرى أن النبي عليه السلام لم يفسر من القران إلا آيات قليله .

وتوسط هذا الأمر فريق أخر على رأسهم مُحَمَّد حسين الذهبي فاختار أن يكون الرسول عليه الصلاة والسلام قد بين الكثير من القرآن وسكت عن الكثير إما لأنه يتعلق بما تعلمه العرب من كلامها، وإما لوضوحه فلا يعذر أحد بجهالته ، وإما لاستئثار الله بعلمه ، وإما مما يدركه العلماء ، واستشهد لما ذهب إليه بقول ابن عباس التفسير على أربعه أوجه :

1 -وجه تعرفه العرب من كلامها .

2 -وتفسير لا يعذر احد بجهالته .

3 -وتفسير تعرفه العلماء.

4 -وتفسير لا يعلمه إلا الله .

فالمقدار الذي فسره النبي لأصحابه يشمل بعض المغيبات التي أطلعه الله عليها وكل ما خفي أو التبس على الصحابة فالقوا الذي يدعى شمول التفسير النبوي لجميع ما في القرآن فيه غلو وأفرط والقول الأخر الذي قلل من حجم هذا التفسير فيه تقصير وتفريط[2] .

أوجه بيان السنة للقران :-

[1] مجموع الفتاوى ،ج،13،ص،332،331.

[2] التفسير والمفسرون ، الذهبي ،ج،1،ص،55،52،وانظر تكامل المنهج المعرفي عند ابن تيمية ،ص،189،188.

وفي هذا الإطار يقول الدكتور مُحَّد حسين الذهبي صاحب كتاب التفسير والمفسرون :(وإذ قد اتضح لنا من الآيات والحديث والآثار مقدار ارتباط السنة بالكتاب ارتباط المبين بالمبين فلنبين بعد ذلك أوجه هذا البيان فنقول :

الوجه الأول :–

بيان المجمل من القران وتوضيح المشكل وتخصيص العام وتقييد المطلق

فمن الأول : بيانه عليه الصلاة والسلام لمواقيت الصلوات الخمس ، وعدد ركعاتها ، وكيفيتها ، وبيانه لمقادير الزكاة وأوقاتها وأنواعها وبيانه لمناسك الحج ولذا قال :(خذوا مني مناسككم) وقال (صلوا كما رأيتموني اصلي) وقد روى ابن المبارك عن عمران ابن حصين إنه قال لرجل إنك رجل أحمق ، أتجد الظهر في كتاب الله أربعا لا يجهر فيها بالقراءة ثم عدد عليه الصلاة والزكاة ونحو ذلك ثم قال أتجد هذا في كتاب اله مفسرا إن كتاب الله تعالى أبهم هذا وإن السنة تفسر هذا .

ومن الثاني : تفسيره ﷺ للخيط الأبيض والخيط الأسود في قوله تعالى: ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇﭼ [1] بأنه بياض النهار وسواد الليل .

ومن الثالث : تخصيصه ﷺ الظلم في قوله تعالى:ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖﭼ [2] بالشرك فإن بعض الصحابة فهم أن الظلم مراد منه العموم حتى قال وأينا لم يظلم نفسه فقال النبي صلى الله عليه وسلم ليس بذلك إنما هو الشرك .

ومن الرابع : تقييده اليد في قوله تعالى: ﭽ ﭡ ﭢ ﭼباليمين .

الوجه الثاني:–

---

[1] سورة البقرة، الآية 187 .

[2] سورة الإنعام ، الآية 82.

بيان معنى لفظ أو متعلقه، كبيان المغضوب عليهم باليهود ، والضالين بالنصارى وكبيان قول تعالى: ﭽ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯﭼ[1] بأنها مطهرة من الحيض والبزاق والنخامية ، كبيان قوله تعالى: ﭽ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭼبأنهم دخلوا يزحفون على إستاهم وقالوا حبه في شعير .

الوجه الثالث :–

بيان أحكام زائدة على ما جاء في القرآن الكريم كتحريم نكح المرأة على عمتها وخالتها، وصدقة الفطر ، ورجم الزاني المحصن ، وميراث الجدة ، والحكم بشاهد ويمين ، وغير هذا كثير يوجد في كتب الفروع .

الوجه الرابع:–

بيان النسخ كأن يبين رسول الله صلى الله عليه وسلم أن آيتي كذا نسخت بكذا ، أو أن حكم كذا نسخ بكذا ، فقوله عليه الصلاة والسلام لا وصيه لوارث ، بيان منه آية الوصية للوالدين والأقربين منسوخ حكمها وإن بقيت تلاوتها ، وحديث البكر بالبكر جلد مائة وتغريب عام بيان منه أيضا لنسخ حكم الآية (15) من سورة النساء: ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘﭼ وغير هذا كثير .

الوجه الخامس :–

بيان التأكيد وذلك بان تأتي السنة موافقة لما جاء به الكتاب ويكون القصد من ذلك تأكيده وتقويته وذلك كقوله عليه السلام ، لا يحل مال امرئ مسلم إلا بطيب نفس منه) فإنه يوافق قوله تعالى ﭽ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭼ([2])وقوله عليه السلام ، اتقوا الله في

---

[1] سورة البقرة ، الآية 25.

[2] سورة النساء، الآية 29.

النساء فإنهن عوان في أيديكم أخذتموهن بأمانة الله واستحللتم فروجهن بكلمه الله ، فإنه موافق لقوله تعالى ﴿ ﴾[1].

3) تفسير القران بأقوال الصحابة :-

إن الصحابة هم اعلم الناس بتفسير القران إما حظوا به من شرف الصحبة ، ولما ورثوه من العلم النبوي ، وشاهدوه من ظروف وأسباب تنزيل ، ولما اختصوا به الفهم الصحيح والعمل الصالح ، لا سيما كبار علمائهم ،كالخلفاء الراشدين ، وكعبد الله بن مسعود ، وعبد الله بن عباس ، ترجمان القران وحبر الأمة .

والصحابة تتفاوت درجاتهم في العلم بالتفسير وأشهرهم عن الإمام عشرة ، الخلفاء الأربعة في مقدمتهم ، ثم عبد الله بن مسعود ، وعبد الله بن عباس ، وأبي بن كعب ، وزيد بن ثابت ، وأبو موسى الأشعري ، وعبد الله بن الزبير ، فأكثر من روى عن النبي صلى الله عليه وسلم الخلفاء الأربعة علي بن أبي طالب ، وأما الرواية عن بقية الخلفاء فقليلة ، ولعل السبب يرجع إلى تقدم وفاتهم ، وأما بالنسبة لابن مسعود فالرواية عنه أكثر من علي بن أبي طالب ، وهو الذي قال (والذي لا اله غيره ما نزلت من أية من كتاب الله إلا وأنا أعلم فيمن نزلت وأين نزلت ولو اعلم مكان احد اعلم بكتاب مني تناله المطايا لأتيته)وأما ابن عباس فهو ترجمان القران الذي خصه الرسول ﷺ ببركة دعائه (اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل)[2] وهو أشهر من عرف من الصحابة بالتفسير ، وقد تعددت طرق الرواية عنه فمنها ما هو صحيح أو ضعيف أو موضوع .

[1] التفسير والمفسرون ، الذهبي ، ج،1،ص،57،55،مرجع سابق .

[2] صحيح مسلم بشرح النووي ،ج،16،ص،37،ط،3،بدون تاريخ طبع ،دار إحياء التراث العربي ،بيروت ، لبنان .

وإذا كان الصحابة هم أعلم الناس بالتفسير في نظر ابن تيمية فإننا يمكن أن نجمل المصادر التي استقوا منها تفسيرهم في الآتي :-

1. القرآن نفسه .
2. الرسول عليه الصلاة والسلام.
3. الاجتهاد .

فإنهم ﷺ كانوا إذا أرادوا تفسير الآية بحثوا في القران فإذا لم يجدوا تفسير الآية في القران بحثوا في السنة فإذا لم يجدوه فيها اجتهدوا ، وكانت أدوات الاجتهاد عندهم تتمثل في الآتي :-

1/ وقوفهم على الكثير من التفسير النبوي لبعض الآيات القرآنية .

2/ معرفة أوضاع اللغة وأسرارها .

3/ معرفة عادات العرب.

4/ معرفة أحوال اليهود والنصارى في جزيرة العرب وقت نزول القران .

5/ قوة الفهم وسعة الإدراك .

6/ معرفتهم بأسباب النزول [1].

ومع كل ما سبق ذكره فالتفاوت بين الصحابة ﷺ في رواية التفسير ملحوظ ولعل أهم أسبابه ترجع إلى تفاوتهم في الأخذ بالتفسير النبوي بحيث يكون مع بعضهم ما ليس مع البعض الأخر ،وتفاوتهم في الفهم ، كأن يتميز بعضهم بزيادة الإدراك وسعته ، فيؤتيه الله الفهم والموهبة ، فتتفاضل مداركهم بذلك ، بالإضافة إلى تفاوتهم في معرفة لسان العرب ،

[1] التفسير والمفسرون ، الذهبي ، ج،1، ص ،57،58،ط،2،1396هـ 1976م ، دار الكتب الحديثة .

ومعرفة أسباب النزول ، إلا أن ابن تيمية يقلل من أهمية هذا التفاوت ويرى أن النزاع بينهم في التفسير قليل بالنسبة إلى ما جاء بعدهم ، ويعتبر ما نقل عنهم نقلا صحيحا أولى مما نقل عن التابعين إذ النفس تطمئن إليه أكثر لاحتمال إن يكون هذا المنقول قد سمعه الصحابي من النبي صلى الله عليه وسلم مباشرة ، أو عمن سمعه منه ، ولقلة نقل الصحابة عن أهل الكتاب لتحريهم في النقل عنهم ولما علموه من نهي النبي عليه الصلاة والسلام عن تصديقهم أو تكذيبهم.

4) تفسير القرآن بأقوال التابعين :-

التابعون هم خير من يحتج بتفسيرهم بعد الصحابة ، وقد رجع كثير من الأئمة إلى أقوالهم ، غير أن ابن تيمية يجعل تفسيرهم إلا قسمين ، فما اجمعوا عليه من التفسير اخذ به واعتبره حجة ، وما اختلفوا فيه لم يعتبر أقوال بعضهم حجة على بعض ، بل يعمد إلى التوفيق بين أقوالهم مادام هناك وجه للتوفيق ، لم يجد وجها للتوفيق رجح ما يراه اقرب إلى الصواب وأليق بالسياق ، وعمد على تضعيف غيره مع بيان وجه الضعف فيه .

وما ينقل عنهم من تفسير الثقة اقل درجة مما ينقل عن الصحابة ، لاحتمال أن ينقلوه عن أهل الكتاب ، إذ إن بعضهم تساهل في الرواية عن أهل الكتاب من غير تحر ، كما أن النزاع بينهم أكثر من سلفهم ، ولذا ك ان ابن تيمية يتحفظ في الأخذ بجميع أقوالهم ، لكن معرفة أقوالهم في التفسير تتقدم على معرفة أقوال المتأخرين درجات ودرجات ، وإذا وقع النزاع بينهم في شيء فإن الحق لا يخرج عنهم ، وإذا اجمعوا على أمر فإن إجماعهم لا يكون إلا معصوما ، إذ لا يجوز تحقق الإجماع بناء على قول خطأ.

ويعتبر الصحابة ﷺ هم أهم مصدر تلقى عنه التابعون التفسير ، خصوصاً أعلامهم ، كابن مسعود ، وابن عباس ، وأبي إن كعب ، وزيد ابن ثابت ، وقد كأن تعدد القراءات

مرجعا مهما في التفسير حتى قال مجاهد (لو كنت قرأت قراءة ابن مسعود قبل أن اسأل ابن عباس ما احتجت أن أسأله عن كثير مما سألته عنه) [1] وما لم يتلقوه عن الصحابة اجتهدوا فيه بطريقي الاستنباط والاستدلال لذلك لم تكن أقوالهم نسخة مطابقة لأقوال الصحابة .

وأما اعلم التابعين بالتفسير فهم أهل مكة لأنهم أصحاب ابن عباس ، كمجاهد ابن جبر ، وسعيد بن جبير ، وعكرمة مولى ابن عباس ، وطأووس ابن كيسان ، وعطاء ابن أبي رباح ، ومن بعدهم أهل الكوفة أصحاب عبد الله ابن مسعود ﷺ ، كمسروق بن الأجدع ، قتادة بن دعامة السدوسي ، والحسن البصري ، وغيرهم ، ثم من بعدهم أهل المدينة أصحاب أبي ابن كعب ﷺ ، كزيد بن اسلم ، وأبي العالية ، ومُحَمَّد بن كعب القرظي ، وغيرهم .

وأشهر التابعين في التفسير في نظر ابن تيمية هو مجاهد ابن جبر الذي ورث التفسير عن ابن عباس ، وقال عن نفسه (عرضت المصحف على ابن عباس ثلاثة عرضات من فاتحته إلى خاتمته ، أوقفه عند كل أية منه ، واسأله عنها) وقال فيه الثوري (إذا حاءك التفسير عن مجاهد فحسبك به) ولأجل ذلك اعتمد عليه الشافعي والبخاري وغيرهما .

ومجمل القول فإن تفسير التابعين لا يعتبر حجه ملزمة إلا في حال اتفاقهم وإجماعهم على قول واحد ، إما في حال اختلافهم فليس قول بعضهم حجه على بعض ، بل الحجة لما وافق دلالة الكتاب والسنة .

5) تفسير القران باللغة :-

[1] سنن الترمذي ،ج،8، ص ، 148، ط،2، حمص .

إذا لم يجد المفسر ما يرجع إليه في تفسير القران الكريم ، رجع إلى لغة القران أو السنة أو عموم لغة العرب ، أو أقوال الصحابة في ذلك [1] ، فابن تيمية في تفسيره للقران الكريم يرجع إلى لغة القران نفسها ، فيستقرئ المواضع التي ورد فيها نفس اللفظ ، والسياقات المختلفة التي جاء ضمنها ، فيلاحظ معاني اللفظ عند الإطلاق والتقييد ، فمثلا في تفسيره للفظ النزول وما اشتق منه يرى إنه يأتي أحيانا مقيدا بكونه من الله ، وتارة مقيدا بكونه من السماء ، وتارة لا يأتي مقيدا لا بهذا ولا بهذا ومن ذلك قوله تعالى چ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ چ) [2] فلفظ النزول هنا لا يحتاج في نظره لإخراجه عن معناه في اللغة ، فإن الإنعام تنزل من بطون أمهاتهم ، ومن أصلاب إبائها ،كما يقال للرجل قد أنزل الماء ، وهو بذلك يدفع القول الأخر الذي يقول بإنزال الحي من السماء ، بل ويدفع كل تأويل للفظ بغير معناه الظاهر .

فالاحتجاج بلغة الوحي من الناحية المنهجية مقدم على الاحتجاج بعموم لغة العرب ، إذ ليس هناك ما هو أفصح وأبين من لغة الشارع من حيث الدلالة على مراده ، وهو يقول بأن القران والحديث إذا عرف تفسيره وما أريد به من جهة النبي ﷺ لم يحتج في ذلك إلى الاستدلال بأقوال أهل اللغة ولا غيرهم ، فهو يتخذ من لغة القرآن والسنة أصلا يعتمد عليه في التفسير ولا يعدل عن ذلك إلا الاحتجاج بأقوال عموم أهل اللغة إلا عن الحاجة ، وذلك حتى يكون كل ما له علاقة بالوحي مقدما على غيره لا تابعا له ، ولا ريب إن هذا منهج مستقيم لأنه يعطي الأولوية في التفسير لصاحب النص ذاته ، فأي خطاب له خصوصية تميزه عن غيره ومفهوم الخطاب بالضرورة تابع لمراد المخاطب وهذا لا يمنع من وجود القاسم

---

[1] مقدمة في أصول التفسير ، عدنان زر زور ، ص ، 105 ، مرجع سابق.

[2] سورة الزمر ، الآية 6 .

المشترك بينه وبين غيره ، ولذلك لم يمنع تفسير القرآن بعموم لغة العرب ، وإنما منع تفسير القران باللغة الاصطلاحات الحادثة التي تختلف عن لغة الشارع إذ يقول (من أعظم الغلظ في فهم كلام الله ورسوله إن ينشأ الرجل على اصطلاح حادث فريد إن يفسر كلام الله بذلك المصطلح ويحمله على تلك اللغة التي اعتادها)[1] ولذلك كأن كثيرا ما يقف عند لفظ محدد للكشف عن دلالته من خلال نفس كلام الشارع أو لغة العرب الموافقة للغة الوحي ويرد في الوقت نفسه على الذين فهموا منه معنى غير مراد بسبب الاصطلاحات الحادثة .

مما سبق يتضح إن ابن تيمية كأن عالما بالقواعد النظرية لتفسير السلف ، ويرجع إليه الفضل في إعادة التذكير بها في وقت اختلفت فيها اتجاهات التفسير اختلافا عظيما[2] .

المبحث الثاني

مواقف ابن تيمية من اختلاف السلف في التفسير

من المعلوم عن صحابة النبي ﷺ إنهم كانوا يفسرون القران بمقتضى لغتهم العربية وما يعلمونه من أسباب التي بشأنها نزل القران وما أحاط بنزوله من ظروف وملابسات وكانت مرجعيتهم عن حدوث بعض الإشكالات المفاهيمية هي الرسول ﷺ .

وكذلك المفسرون من التابعين كانوا يجلسون للمفسرين من الصحابة ينقلون عنهم ويروون لهم ، كحال سعيد بن جبير ، ومجاهد بن جبر ، وطأوس بن كيسإن ، وعطاء بن أبي رياح ، رحمهم الله ، مع عبد الله بن عباس رضي اله عنه وأرضاه فعبد الله ابن عباس قامت عليه مدرسة التفسير بمكة المكرمة والمذكورون أعلاه من التابعين هم تلامذته اخذوا عنه التفسير والعلم وروا عنه ، وبجانب هذه المدرية كانت هناك أيضا المدرسة المدنية التي قامت

[1] مجموع الفتاوى ، ابن تيمية ، ج،12، ص، 106،107.

[2] تكامل المنهج المعرفي عند ابن تيمية ، إبراهيم عقيلي ، ص،190، 196، ط،1،1415هـ 1994م،المعهد العالمي للفكر الإسلامي .

على جهود ، أبي ابن كعب ﷺ ، ومن تلامذته ، أبو العالية ومُحَمَّد بن كعب القرظي ، وزيد بن اسلم ، هؤلاء أيضا اخذوا عن أبي كعب ، وروا عنه جملة من المفسرين من التابعين اخذوا عن المفسرين من الصحابة كثيرا من التفسير ولكنهم أيضا قالوا فيه بآرائهم واجتهاداتهم التي توصلوا إليها نتيجة المدارسات والمطالعات والمحاورات التي تقع بينهم علماء وطلاب مع الأخذ في الاعتبار سلامة لغتهم العربية وقوتها حيث لم يتطرق إليها في ذلك الوقت الضعف الذي طرأ بعد ذلك الزمان بقليل على اللغة العربية ، ومع ملاحظة إن ما لكان مدونا من العلوم الأدبية والعلوم العقلية والعلوم الكونية ومذاهب الخلاف الفقهية والكلامية قليل للغاية ، بل لم يكن شيء منها قد ظهر بعد في عهد الصحابة رضوان الله عليهم والتابعين ، ولما لكان هذا هو الشأن على عهد الصحابة والتابعين لكان من الطبيعي أن تضيق دائرة الخلاف في التفسير خصوصا في هاتين المرحلتين من مراحل التفسير .

1. مرحلة عهد الصحابة .
2. مرحلة عهد التابعين .

ولذا كأن الخلاف بين الصحابة في التفسير قليل جدا كما أشار إلى ذلك الإمام ابن تيمية بقوله (الخلاف بين السلف في التفسير قليل وخلافهم في الإحكام أكثر من خلافهم في التفسير)[1] بل بين ابن تيميه وجهة الخلاف لأنه لم يقل بأنه معدوم أو لم يحدث ، لقد حدث الخلاف بين الصحابة في تفسير وفهم بعض النصوص القرآنية لكن ابن تيمية أوضح أنه في الغالب اختلاف تنوع وليس اختلاف تضاد ، ومعنى ذلك إن الخلاف الذي ورد عن الصحابة باختلاف أقوالهم في المسالة الواحدة أو حتى اختلاف قولين لصحابي واحد في مسالة واحدة يرجع إلى اختلاف عبارة كما قال الدكتور مُحَمَّد حسين الذهبي لاختلاف تباين

[1] مقدمة في أصول التفسير ، ضمن مجموع الفتاوى ،ج،13، ص،305.

وتعارض أو تضاد كما قال الإمام ابن تيميه ، وبعد البحث والنظر في هذه الأقوال التي اختلفت اختلاف عبارة أو تنوع ولم تتباين أو تتعارض والأسباب والدواعي التي أدت ودفعت إلى وجود هذا النوع من الخلاف يمكننا إرجاع الأسباب إلى الأمور الآتية :-

1/ أن يعبر كل واحد من المفسرين عن المراد بعبارة غير عبارة صاحبه تدل على معنى في المسمى غير المعنى الآخر مع اتحاد المسمى.

وهذا النوع من الأسباب ، منه ما يكون متعلقا بأسماء الله ، ومنه ما يكون متعلقا بأسماء الرسول ﷺ ، ومنه ما يكون متعلقا بأسماء القران ، فما تعلق بأسماء الله تعالى يجب أن يعلم فيه ابتداء أن أسماء الله كلها على مسمى واحد فلا يكون دعاؤه باسم من أسمائه الحسنى مضادا لدعائه باسم أخر منها بل الأمر كما قال صاحب الأمر عز جل وعلا : ﭽ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﭼ [1] وإذا ما نظرنا إلى كل اسم من أسمائه وجدناه يدل أولا على ذات الله ثم على الصفة من صفاته تضمنها كاسم (العليم) فإنه يدل على الذات والعلم ، و(القدير) فإن يدل على الذات والقدرة ، و(الواحد) فإنه يدل على الذات والوحدانية ، وهكذا في كل أسمائه سبحانه عز وجل . ثم إن كل اسم من هذه الأسماء يدل على الصفة التي في الاسم الآخر بطريق اللزوم .

وكذلك الشأن في أسامي الرسول ﷺ مثل مُحَمَّد وأحمد وحماد وأسماء القرآن مثل القرآن الفرقان والهدى والشفاء ونحو ذلك .

فإن كأن المقصود تعيين المسمى عبرنا عنه بأي اسم إذا كنا نعرف مسماه كما في قوله تعالى : (ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ)[2] إذا قيل ما ذكره المقصود في الآية بأقل ذكره قرأنه أو

[1] سورة الإسراء ، الآية 110.

[2] سورة طه ، الآية 124 .

كتابه أو هداه أو كلامه ونحو ذلك وهذا على القول المشهور بان المصدر مضاف إلى الفاعل كما يدل عليه صباغ الآية .

وأما إن كأن المقصود معرفة ما في الاسم من الصفة المختصة فيه عندها لابد من قدر زائد على تعيين المسمى كأن يسال سائل عن القدوس السلام المؤمن المهيمن وهو قد عرف دلالة الذات ويريد إن يعرف القدر الزائد أي ما معنى كونه قدوسا سلاما ، مؤمنا ، مهيمنا ، ونحو ذلك .

والسلف كثيراً ما يعبرون عن المسمى بعبارة تدل على عينه وإن كأن فيها من الصفة ما ليس في الاسم الأخر كأن تقول القدوس هو الله أو الرحمن أو الغفور أو الشكور والمراد في ذلك أن المسمى واحد لا أن هذه الصفة هي هذه ومعلومة إن الخلاف الذي يكون بهذه الكيفية لا يمكن إن يقال عنه بأنه خلاف تضاد وتباين ومن ذلك تفسيرهم للصراط المستقيم فإن بعضهم قد قال هو اتباع القرآن لقول النبي ﷺ في حديث النواس بن سمعإن :(ضرب الله مثلا صراط مستقيما وعلى جنبتي الصراط سوران فيهما أبواب مفتحه وعلى الأبواب ستور مراخاة وعلى باب الصراط داع يقول يا أيها الناس ادخلوا الصراط جميعا ولا تتفرجوا وداع يدعوا من فوق الصراط فإن أراد احد إن يفتح شيئا من تلك الأبواب قال له ويحك لا تفتح فإنك إن تفتحه تلجه ، قال : فالصراط المستقيم ، هو الإسلام ، والسوران ، حدود الله ، والأبواب المفتحة ، محارم الله ، والداعي على را س الصراط كتاب الله والداعي فوق الصراط ، واعظ الله في قلب كل مؤمن)[1] ، ومنهم من قال : هو اتباع السنة والجماعة ، ومنهم من قال هو طريق العبودية ومنهم من قال هو طاعة الله ورسوله ، منهم من قال غير ذلك .

[1] أخرجه الإمام احمد في مسنده ،ج،4،ص،183،بدون تحديد رقم الصفحة وتاريخ الطبع ، مطبعة دار الفكر ، بيروت لبنان .

والمتأمل لكل هذه الأقوال تجدها لا منافاة بينها بل كلها متفقة في حقيقة الأمر لان دين الإسلام هو اتباع القرآن وهو طاعة الله ورسوله وهو طريق العبودية لله ، فالذات واحدة وكل أشار إليها ووصفها بصفة من صفاتها .

2/ إن يذكر كل منهم من الاسم العام بعض أنواعه على سبيل التمثيل وتنبيه المستمع على النوع لا على سبيل الحد المطابق للمحدود في عمومه وخصوصه .

ومن ذلك ما نقل في تفسير قوله تعالى : ﭽ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭽ [1] الآية فمنهم من فسر الظالم لنفسه لمن يصلي بعد فوات الوقت والمقتصد بمن يصلي في إثناء الوقت السابق بالخيرات بمن يصلي في أول الوقت ومنهم من فسر الظالم لنفسه بمانع الزكاة والمقتصد بمن يؤديها وحدها والسابق بالخيرات بمن يؤديها مع الصدقة

والمتأمل لهذه الأقوال يجد أن كل من المفسرين ذكر فرداً من إفراد العام على سبيل التمثيل لا معنى الظالم منحصر فقط في تأخير الصلاة حتى يكاد وقتها يخرج ومنع الزكاة لان ألفاظ الظلم والاقتصاد والسبق ألفاظ عامه ، وهذا لتعريف المستمع أن الآية تتناول المذكور ولتنبيهه به على نظيره فإن التعريف بالمثال أسهل من التعريف في الحد المطابق كما قال ابن تيمية .

وهذا النوع من الاختلاف في ذكر المثال لا يؤدي إلى التباين والتناقض بين الأقوال إذ إن المعلوم إن الظالم لنفسه يتناول المضيع للواجبات المنتهك للمحرمات والمقتصد يتناول فاعل الواجبات وتارك المحرمات والسابق بالخيرات تتناول من تقرب مع الواجبات بالسنن والمستحبات ، ومن هذا القبيل نجد ذكرهم لنزول الآية الواحدة سببين مختلفين فيقول

[1] سورة فاطر ، الآية 32 .

احد\هم نزلت هذه الآية في كذا ويقول الأخر نزلت في كذا وكل يذكر غير ما ذكره صاحبه لان كلا منهم يذكر بعض ما يتناوله اللفظ وهذا لا تنافى فيه مادام اللفظ يحتمل قول كل منهما ، وأما إذا قال احدهم سبب نزول هذه الآية كذا وقال الآخر سبب نزول الآية كذا وكل ذكر غير ما ذكره الأخر فيمكن إن يقال إن الآية عقب تلك الأسباب أو تكون نزلت مرتين مرة لهذا السبب ومرة لهذا السبب .

3/ أن يكون اللفظ محتملا للأمرين أو الأمور .

وذلك إما لكونه مشتركاً في اللغة كلفظ (قسورة) الذي يراد به الرامي ويراد الأسد واللفظ (عسعس) الذي يراد به إقبال الليل ويراد به إدباره ، إما لكونه متواطئا في الأصل لكن المراد به احد النوعين أو احد الشخصين كالضمائر في قوله تعالى: (ﭽ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﭼ[1]وكلفظ :

ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭼ[2] وما ماثل ذلك فمثل هذا يجوز أن يكون المراد به كل المعاني التي قالها السلف ذلك إما لكون الآية نزلت مرتين فأريد بها هذا تارة وهذا تارة ، وإما لكون اللفظ مشترك يجوز إن يراد به معنياه أو معانيه وهذا ما يقول به أكثر الفقهاء من المالكية والشافعية والحنابلة وكثير من أهل الكلام ، وأما لكون اللفظ متواطئا فيكون عاما إذا لم يكن هناك موجب لتخصيصه .

4/ أن يعبروا عن المعاني بألفاظ متقاربة لا مترادفة فإن الترادف قليل في اللغة ونادر أو معدوم في القرآن ، وقل إن يعبر عن لفظ واحد بلفظ واحد يؤدي جميع معناه وإنما يعبر عنه بلفظ فيه تقريب لمعناه فمثلا إذا قال قائل في قوله تعالى : ﭽ (ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﭼ[3] قيل

---

[1] سورة النجم ، الآيتان 8- 9.

[2] سورة الفجر ، الآية 1،3.

[3] سورة الطور ، الآية 9.

المور الحركة فذلك تقريب للمعنى لان المور حركة حقيقية سريعة ،وكذلك إذا قال في قوله تعالى : چ چ چ ڈ ڈ ڈ ڈ ڈ ڈ ژ ژ ڑ چ[1]أي علمنا فهو تقريب للمعنى لان القضاء إليهم في الآية اخص من الإعلام إيحاء وإنذار إليهم ، وإذا قال احدهم في قوله تعالى: چ ڈ ڈ ڤ ڤ ڤ ڤ ڤ چ[2] إن معنى تبسل تحبس وقال الأخر : ترتهن ونحو ذلك لم يكن من اختلاف التضاد لان هذا تقريب للمعنى .

5/ أن يكون في الآية الواحدة قراءتان أو قراءات .

وكل مفسر يفسر الآية على حسب قراءته المخصوصة فيظن ذلك اختلاف وليس هو باختلاف ومثال ذلك ما أخرجه ابن جرير عن ابن عباس وغيره من طرق في قوله تعالى : چ ئا ئا ئه ئه چ[3]إنك عنى سكرت سدت ومن طريق أخرى عنه إن سكرت بمعنى أخذت وسحرت ثم اخرج عن قتادة أنه قال من قراء (سكرت) مشددة فإنما يعني سدت ومن قراء (سكرت) مخففة فإنه يعنى سحرت ، ومن ذلك أيضا قوله تعالى : چ ک ک ۇ چ[4]اخرج ابن جرير عن الحسن أن القطران هو الذي تهنا به الإبل واخرج من طرق عنه عن غيره إنه النحاس المذاب وليس بقولين وإنما الثاني تفسير لقراءة من قراء (من قطر إن)بتنوين قطر وهو النحاس المذاب و (إن) شديد الحرارة وأمثلة هذا النوع كثيرة وقد خرج على هذا الاختلاف الوارد عن ابن عباس ﷺ ما في تفسير قوله تعالى : چ چ چ

[1] سورة الإسراء ، الآية 4 .
[2] سورة الإنعام الآية 70 .
[3] سورة الحجر ، الآية 15 .
[4] سورة إبراهيم ، الآية 50.

ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ[1] هل هو الإجماع أو اللمس باليد فالأول تفسير لقراءة لامست والثاني لقراءة لمست ولا اختلاف .

هذه الأوجه هي التي بواسطتها نستطيع إن نجمع بين أقوال السلف التي تبدو متعارضة ، إما ما جاء عنهم من اختلاف في التفسير وتعذر الجمع بينه بواحدة من الأمور السابقة ، وهذا أمر نادر أو اختلاف مخفف كما يقول الإمام ابن تيمية ،

فالطريق فيه إن ينظر فيمن نقل عنه الاختلاف فإن كأن عن شخص واحد واختلفت الروايتان صحة وضعفا قدم الصحيح وطرح ما عده وإنا استويا في الصحة وعرف أن احد القولين متأخر عن الآخر قدم المتأخر وترك ما عداه وإن لم يعرف تقدمأحدهما عن الآخر رد الأمر إلى ما ثبت فيه السمع فإن لم يوجد سماع ولكن للاستدلال طريق إلى تقوية احدهما رجح ما قواه الاستدلال وطرح ما عداه ، وإن تعارضت الأدلة سيكون الأمر عندئذ في منزلة المجمل قبل تفصيله والمتشابه قبل تبينه .

غير أن الإمام الزركشي يرى أن الاختلاف لكان بين الصحابة وتعذر الجمع أو الترجيح يقدم قول ابن عباس على قول غيره وعلل ذلك بقوله لان النبي ﷺ بشره بذلك حيث قال (اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل[2])[3].

المبحث الثالث

خصائص تفسير الإمام ابن تيمية

[1] سورة المائدة ، الآية

[2] صحيح مسلم بشرح النووي ، ج،16،ص،37،ط،3،بدون تاريخ الطبع ،دار إحياء التراث العربي .

[3] التفسير والمفسرون ، الذهبي ،ج، ا،ص، 132،139،ط،2،1976م،1396هـ ،وأنظر الإتقان في علوم القران ، ج،2،ص176،183 ، وأنظر الفتاوى ج،13،ص333،344،ط،1،1382هـ .

بالرغم من صغر الحجم الذي بلغ من تفسير ابن تيمية والذي هو الغالب يتناول بعض السُور والآيات المتفرقة من القرآن الكريم ألا إنه يعد شاهد صدق على المقدرة التفسيرية الفائقة للإمام بحيث لا يقل مرتبة من كثير المفسرين ذلك لأن تفسيره اشتمل على معاني آيات القران وعلى تنبيهات جليلة ودقيقة وقواعد هامة فاقت أهل التأويل ومن هذا القليل من التفسير للإمام على ضوء منهجه الذي سلكه في التعامل مع آيات الكتاب الكريم يمكننا أن نستخلص الخصائص والمميزات التي برزت في تفسير ابن تيمية وأعطته هذه اللونية المميزة وأكسبته رونقا ومذاقا تفرد به ونحسب أن ذلك بسبب صدق الإمام ابن تيمية وإخلاصه في تبني قضايا أمته المسلمة .

1/ تفسير القران بالقران

من أميز الخصائص التي تجلت في تفسير الإمام هي تفسير القرآن بالقرآن ولأن غرض الإمام كأن في معظمه هو الوقوف عند موضع الشاهد الذي يؤدي إلا حل المشكله المطروحة أو يعين على فهم معناها ، لم يتخذ ابن تيمية منهجا منظما وشاملا لجميع الجوانب التفسيرية كالقراءات وأسباب النزول والمسائل اللغوية والنحوية وما يتعلق بها من وجوه التأويل بل كان يعرض لبعضها دون بعض لأن غرضه ليس هو إعطاء تفسير متكامل للآية كما أسلفنا .

إن ابن تيمية في تفسيره للآيات يلجا إلى استقراء نظائرها حتى يفسر بعضها على ضوء بعض فقد استخدم هذه الطريقة كثيراً ، وما يستعرضه من الآيات قد يبين مضمونها ووجه الشاهد فيها وقد لا يبين ذلك بل يكتفي بسوقها للاعتقاد بها من غير توضيح إذ أن مجرد عرضها دال على المقصود وكمثال على ذلك ما ساقه من الآيات على صدق واعد الله للمؤمنين وصدق وعيده للكافرين في قوله تعالى : ﭽ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ

ﮮ ﮯﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﭽ[1] وقوله تعالى : ﭽ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﭼ[2] قال : هذه الآية فيها إخبار بأنه لا مبدل لكلمات الله وفي ذلك إخبار بأنها تمت صدقا وعدلا، وفي قوله تعالى: ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭼ[3] وقوله تعالى : ﭽ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﭼ[4] ففي هذه الآية بين أنه لا مبدل لكلمات الله مما يدل على وعد الله لرسله وهو من كلماته التي لا مبدل لها وفي تلك بين إن ما وعد به أولياه من نفي المخالفة والحزن عنه واثبات البشرى لهم في الدارين لا مبدل له وفي هذا تحقيق لحول الله الذي هو كلامه وفي قوله تعالى : ﭽ (ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﭼ[5] ثم يحاول ابن تيمية أن يدفع احتجاج الوعيديه في هذه الآية على عدم اختلاف الله لوعده لقوله (والتحقيق الجمع بين نصوص الوعد والوعيد وتفسير بعضها ببعض من غير تبديل شيء منها كما يجمع بين نصوص الأمر والنهي من غير تبديل شيء منها)[6] فالمنهج القويم في التفسير يقتضي الجمع بين آيات الكتاب الواحد ليتم تفسير بعضها على ضوء بعض دون الوقوع في أي نوع من التناقض من شأنه أن يجعل القرآن مختلفاً لا مؤتلفاً وإهمال هذه الآية قد أدي إلى الوقوع في التفسير الآحادي الذي يعزل الآيات بعضها عن بعض ويسقط بالتالي في التأويل المتعسف للآيات المخالفة .

[1] سورة الإنعام ، الآية 115.
[2] سورة الكهف ، الآية 27.
[3] سورة يونس ، الآية 62،64.
[4] سورة الإنعام ، الآية 34 .
[5] سورة ق ، آيات 28،29 .
[6] التفسير الكبير ، ج،4،ص،249،250.

2/ احتجاجه بالقراءات :

القراءات تعتبر مصدراً خصباً لتفسير القران وتجلية معانيه وكشف مضامينه السامية إذ في اختلافها وتنوعها مقاصد مهمة ، منها زيادة الأحكام والمعاني المستنبطة وابن تيمية يحتج بالقراءة متى استوفت شروط الصحة من حيث (السند ، وموافقة احد المصاحف العثمانية ولو احتمالا ، وموافقة اللغة العربية ولو بوجه) لان القراءة سنة متبعة لا ينبغي ردها أو تبديلها ، وهو يعتبر أن العالم بأكثر من قراءة له مزية وفضل على من يعرف قراءة واحدة وتعلم حروف القران وألفاظه له فائدة عظيمة وهي زيادة الإيمان بالتعرف على معانيه وابن تيمية يفرق بين القراءات والأحرف السبعة ، ويقرر أيضاً أن الحرف السبعة فضلاً عن القراءات لا يجوز أن تتناقض فيما بينها والاختلاف الموجود بينها لا يعدو إن يكون اختلاف تنوع وتغاير بحيث يكون المعنى إما متفقا أو متقاربا ، ويقول ((من القراءات ما يكون المعنى فيها متفقا من وجه متباينا من وجه كقوله (يخدعون ويخادعون) و (يكذبون ويكذبون) و (لمستم ولامستم) و (حتى يطهرن ويطهرن) ونحو ذلك ، فهذه القراءات التي يتغاير فيها المعنى كلها حق ، وكل قراءة منها مع الأخرى بمنزلة الآية مع الآية ، يجب الإيمان بها كلها وإتباع ما تضمنته من المعنى علماً عملاً ولا يجوز ترك موجب إحداهما لأجل الأخرى ظنا أن ذلك تعارض بل كما قال عبد الله بن مسعود ﷺ من كفر بحرف فقد كفر به كله) .

3/ اعتباره لأسباب النزول :

لأسباب النزول أهمية كبرى في تفسير القرآن لأنها تكشف عن ظروف التنزيل وأحواله وصفات المنزل فيهم ومعرفة سبب نزول الآية يعين على فهم معناها ، إذ العلم بالسبب يورث العلم بالمسبب وقد أحاطت بموضوع أسباب النزول جملة من الإشكالات عمل الإمام

ابن تيمية على معالجتها ومن أهم هذه القضايا ما يتعلق بقضية تعدد سبب النزول الآية الواحدة ، وقضية على العبرة بعموم اللفظ أم بخصوص السبب .

القضية الأولى :

يقول الإمام ابن تيمية إن ما يذكر في تعدد أسباب النزول مثل إن يقال بان الآية كذا نزلت في كذا ، فإنه قد يراد بها ذلك هو سبب النزول وقد يراد به أن ذلك السبب داخل في معنى الآية وإن لم يكن هو السبب المباشر كما إذا قيل عني بهذه الآية كذا ، ومن هذا الباب قولهم : إن أية اللعان نزلت في عويمر العجلاني أو هلال ابن أمية ، وإن آية الظهار نزلت في امرأة أوس ابن الصامت ، ونظائر ذلك مما يذكر إنه نزل في قوم من المؤمنين أو أهل الكتاب أو المشركين فلا يقصد به إن حكم الآية يختص بهؤلاء الأشخاص فقط دون غيرهم بل يقصد به إن ذلك الشخص هو داخل في هذا الخطاب على سبيل التمثيل لبعض أنواع الاسم العام ، والعلماء وإن تنازعوا في اللفظ العام الوارد علي سبب هل يختص بذلك السبب أم لا ، فلم يقل احد منهم أن عمومات الكتاب والسنة تختص بالشخص المعين وإنما من قال منهم باختصاص العام بسببه قصد أنه يختص بنوع ذلك الشخص فيعم حكم الآية كل من يشبهه .

القضية الثانية :

إن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب ، لأن قصر الآية على نفس السبب لم يقل به أحد العلماء وغاية ما قاله بعضهم أن اللفظ العام القائم على سبب يختص به وبنظائره وإذا قال الصحابي بان الآية نزلت في كذا فهل يجري ذلك مجرى المسند باعتبار السبب الذي لأجله نزلت الآية أم يجرى مجرى التفسير ، فالبخاري يدخله في المسند ، وغيره كالإمام احمد بن حنبل لا يدخله ، وأما إذا نزلت الآية عقب سبب معين فلا خلاف في دخوله المسند ،

وإذا تعدد القول في سبب نزول الآية فابن تيمية يحمل الآية على تعدد النزول بحيث تنزل مرة عقب هذا السبب ومرة عقب هذا ، وفي تفسيره لقوله تعالى : (ﭐ ﭒ ﭓ ﭔ)[1] بين إن هذه الآية خطاب لكل كافر وليست خطاياً لأشخاص معينين كما ذكر بعض المفسرين واستشهد بما ورد في سبب نزولها مثل ما نقل عن وهب ابن منبه إنه قال : قالت قريش للنبي ﷺ سرك (أن ندخل في دينك عام وتدخل في ديننا عاما) فنزلت : (ﭒ ﭓ ﭔ حتى ختمتها ، وعن ابن عباس : قالت قريش يا مُحَمَّد لو استلمت ألهتنا لعبدنا إلهك ، فنزلت السورة ، وعن قتادة قال : أمره الله أن ينادي الكفار فناداهم بقوله (يا أيها) قال :(فهذه الروايات متطابقة على معنى واحد وهو أنهم طلبوا منه إن يدخل في شيء من دينهم ويدخلوا في شيء من دينه ، ثم إن كانت كلها صحيحة فقد طلب منه تارة هذا وتارة هذا ، وقوم هذا وقوم هذا ، وعلى كل تقدير فالخطاب للمشركين كلهم من مضى ومن يأتي إلى يوم القيامة)[2] .

فأسباب النزول في نظر ابن تيمية ليست مقيدة للآية وإنما موضحة ومبينة لمعنى الآية ومحددة لصفات الذين نزلت فيهم حتى تعميم على نظائر هذه الصفات في كل زمان ، وفي تفسيره لقوله تعالى : (ﭐ ﭒ ﭓ ﭔ)[3] علل تعدد سبب نزولها على أنه نزلت أولاً بمكة لما سأله المشركون ، ثم نزلت ثانياً لمن سأله الكفار من أهل الكتاب بالمدينة ، وجوز تعدد النزول للتذكير بان الآية أو السورة تتضمن جوانب ذلك السبب[4] .

4/ أخذه بأقوال المفسرين :

[1] سورة الكافرون ، الآية 1 .

[2] التفسير الكبير ،ج،7،ص،60 .

[3] سورة الإخلاص ، الآية 1.

[4] التفسير الكبير ،ج، 7،ص ،288،وأنظر تكامل المنهج المعرفي عند ابن تيمية ، ص ،210،212 .

من الخصائص التي يتميز بها تفسير ابن تيمية إنه استفاد من أقوال من سبق من المفسرين خصوصا ما اثر عن السلف من الصحابة رضوان الله عليهم ومن التابعين رحمهم الله والأئمة المعتبرين ، لأن أقوال هؤلاء أفضل من أقوال من تأخر منهم ، وابن تيمية لا يجوز العدول عن أقوال السلف إلى غيرهم حال وجدت هذه الأقوال وثبتت نسبتها إليهم لأنهم اعرق الخلق بالحق ومراد الله ومعاني كتابه ، ولذلك لكان يجل التفاسير المأثورة كتفسير ابن جرير الطبري ونحوه إنها اصح نقلا وأقوم استدلالا ، ويعيب تفاسير أهل البدع لأنها تجمع بين الغث والسمين إما نقلاً وإما استدلالاً[1] .

وابن تيمية في تفسيره لا يرجع إلا إلى أقوال السلف غالبا ، ومن ذلك ما ذكره في تفسير قوله تعالى : (ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ)[2]قال : روى ابن أبي حاتم بالإسناد المعروف عن ابن عباس قال (مؤتمنا عليه) وروى عن عكرمة والحسن وسعيد ابن جبير وعطاء الخراساني ، إنه (الأمين) وروى عن تفسير الوالبي عن ابن عباس قال (مصدقا بهذه الكتب وأمينا عليها) ومن تفسير الوالبي كذلك عن ابن عباس ، ومهيمنا عليه (على كل كتاب قبله) قال : وروى عن سعيد ابن جبير وعكرمة وعطية وعطاء الخراساني و مُحَمَّد ابن كعب وقتادة والسدى وعبد الرحمن بن زيد بن اسلم نحو ذلك[3] .

فذكر في تفسير هذه الآية أقوال السلف صرفا ولم يخلطه بغيره ، الأمر الذي يدل على تقديره وإجلاله لتفسيرهم ، وإذا اختلفت أقوالهم فإنه يعمل على التوفيق بينها باعتبار أن الاختلاف بينهم هو على سبيل التنوع ليس إلا :

5/ اعتباره لأقوال أهل اللغة والنحو :

[1] مقدمة في أصول التفسير ، تحقيق الدكتور ، عدنان زر زور ،ص،90 .

[2] سورة المائدة ، الآية 48 .

[3] التفسير الكبير ، ج،7،ص ، 149،148،وأنظر تكامل المنهج المعرفي عند ابن تيمية ،ص، 213 .

كذلك مما ميز تفسير ابن تيمية إنه يحتج بأقوال اللغويين والنحاة كثيراً ، وإذا اختلفت آراؤهم معنى الألفاظ القرآنية أو في إعرابها فإنه يعمل على ترجيح القول الذي معه الدليل المحقق والذي له باع طويل في الاستدلال ونصرة القول الراجح بالشواهد وأقوال السلف والنحاة وأهل اللغة .

من ذلك ما جاء عنه في تفسير ه لقوله تعالى: ﭽ ڈ ڈ ڈ ڈ ژ ژ ڑ ڑ ک ﭼ [1] فإنه قد ذكر إن قوله (إلا من سفه نفسه) فيه قولان من جهة الإعراب والمعنى احدهما : أن النفس هي التي سفهت لأن (سفه) فعل لازم غير متعد والمعنى (إلا من كأن سفيها) فلما جعل الفعل له نصب النفس على التمييز لا النكرة ، كما في قوله تعالى : ﭽ ٹ ٹ ٹ ﭼ [2] أي اشتعل الشيب في الرأس وهذا قول الفراء وغيره من نحاة الكوفة وهو اختيار ابن قتيبة وغيره وهو أكثر السلف :

الثاني : إن (سفه نفسه) بمعنى (جهل نفسه) وهو قول ابن كيسان والزجاج باعتبار إن كل من عبد غير الله فقد جهل نفسه وابن تيمية يرى إن هذا القول ضعيف لأن جهل فعل متعد بخلافه سفه فهو فعل لازم ولم يأت لفظ سفهته كذا في كلام العرب بمعنى جهلته بل قالوا سفه سفاهة أي صار سفيها وسفه أي حصل منه سفه .

وذهب الأخفش ويونس إن نصب النفس بإسقاط الخافض والأصل سفه في نفسه وقد ضعف هذا القول أيضا لان حروف الجر لا تحذف إلا في مواضع مسموعة وفعل سفه لا يقاس عليها ، وينتهي إلى ترجيح قول الكوفيين بان المقصود بالآية أن كل من رغب عن ملة إبراهيم فهو سفيه[3] .

---

[1] سورة البقرة ، الآية 130.

[2] سورة مريم ، الآية 4 .

[3] التفسير الكبير ، ج،7،ص ، 80،81 ،وأنظر تكامل المنهج المعرفي عند ابن تيمية ، ص، 214،215 .

6/استنباطه الشخصي :

إن المجهود الشخصي في تفسير ابن تيمية هو ابرز خصائص هذا التفسير بل هو الذي بسببه استحق جدارة الإمام في هذا العلم الجليل لأنه لا يكتفي فقط بسرد أقوال المفسرين وغيرهم كيفما اتفق كحال طائفة من أهل النقل ، بل يحسن إيرادها وعرضها ويعطي كل قول حقه من الترجيح أو التوجيه أو التصويب أو التضعيف أو الإبطال مستدلا ومعللا ومقارنا وأما استنباطه للمعاني اللطيفة والجامعة واستخراجه للحجج القوية من الآيات بها فله في ذلك باع طويل .

والمتتبع للرؤية الاستنباطية عند ابن تيمية يلحظ أنه قد سخر جهوده في هذا المجال للرد على الزنادقة والفرق المخالفة للنصوص ولمنهج السلف ففي تفسيره لقوله تعالى : ﭽ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﭼ[1]قال : قال تعالى : ﭽ ﮥ ﮦ ﮧ ﭼ فأطلق الخلق والتسوية ولم يخصص بذلك الإنسان كما أطلق قوله بعد ﭽ ﮩ ﮪ ﮫ ﭼ لم يقيده فكأن هذا المطلق لا يمنع شموله لشيء من المخلوقات ، وقد بين موسى عليه السلام شموله في قوله: ﭽ ﰎ ﰏ ﰐ ﰑ ﰒ ﰓ ﰔ ﰕ ﰖ ﰗ ﭼ[2] وقد ذكر المقيد بالإنسان في قوله: ﭽ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭼ[3] وقد ذكر المطلق والمقيد في أول ما نزل من القران وهو قوله تعالى : ﭽﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﭼ[4] وفي جميع هذه الآيات مطلقها ومقيدها والجامع بين المطلق والمقيد قد ذكر خلقه وذكر هدايته وتعليمه بعد الخلق كما قال في هذه السورة: (ﮥ ﮦ ﮧ

[1] سورة الأعلى ، الآيات ، 2،3 .

[2] سورة طه ، الآية 50 .

[3] سورة الانفطار ، آيات ، 6،7 .

[4] سورة العلق ، آيات 1،5.

ﯿ ﯾ ﯽ ﯼ ﯻ) لأن جميع المخلوقات خلقت لغاية مقصود بها فلا بد إن تهدي إلى تلك الغاية التي خلقت لها فلا تتم مصلحتها وما أريدت له إلا بهدايتها لغايتها ، وهذا مابين إن الله خلق الأشياء لحكمة وغاية تصل إليها كما قال السلف وجمهور المسلمين وجمهور العقلاء[1] وهو بهذا الاحتجاج أراد إن يرد على من يبطلون الحكمة والإرادة في مخلوقات الله كالجهمية والأشاعرة [2].

الخاتمة

1 -الشيخ احمد بن عبد الحليم (ابن تيمية) له مقدرة فائقة أوهبها الله له جعلته قادرا على التعمق في مجالات عديدة ، من أبرزها التفسير ، فقدم فيه للأمة خدمة عظيمة ، عندما قام بوضع مقدمته في أصول التفسير وهي التي أودعها تلك القواعد التي قال عنها (... تعين على فهم القرآن ومعرفة تفسيره ومعانيه والتمييز في منقول ذلك ومقولة ، بين الحق وأنواع الأباطيل)

2 -هذا إلمام (ابن تيمية) له في تفسير القرآن شأن كبير ولا يقل مكانته في التفسير عنها في الحديث أو الفقه أو اللغة فقد برع فيها جميعاً .

3 -الأصل الأول عنده هو أن تفسير القرآن بالقرآن إذا الآيات يفسر بعضها بعضاً .

4 -السنة النبوية تعتبر الأصل الثاني لتفسير القران الكريم .

[1] التفسير الكبير ،6،ص ، 147،148 .

[2] تكامل المنهج المعرفي عند ابن تيمية ، بتصرف ، ص ، 216 .

5 -وضح الشيخ أن الصحابة رضوان الله عليهم هم أعلم الناس بتفسير القرآن الكريم.